من خلال بنائها الاجتماعي ـ السياسي، على تحييد أسلحة التفوّق الاسرائيلي الاستراتيجية، دون ان تتمكّن من أخذ المبادرة العسكرية، بمعناها الهجومي، والذي لا يزال يُعتبر عملاً انتحارياً بالنسبة اليها، كونه يقوم على تقديم الذرائع والمبررات الى العدو الاسرائيلي لارتكاب المزيد من المجازر وحملات القمع الدموية، والتي تشكّل، في جوهرها، خطراً على استمرار الانتفاضة ذاتها. وفي ضوء هذه المعادلة، فالانتفاضة قد تعني، في التفسير المستقبلي الاسرائيلي، استحالة السيطرة على الفلسطينيين واستيعابهم، كلية، في المشروع الاسرائيلي، الاّ ان ذلك لا يعني، في المقابل، وصول الفكر الاسرائيلي الى الاقتناع باستحالة سيطرته على الارض الفلسطينية في الضفة والقطاع، واستبعاد أي حل سياسي، أو عسكري.

وفي سياق تغيير هذه المعادلة، لا بدّ من خلق ظروف جديدة، من شأنها دفع الاسرائيليين الى الانسحاب من المناطق المحتلة، من طريق تهديد سيطرتهم العسكرية، وذلك بمزاوجة العمل السياسي ـ الدبلوماسي الفلسطيني مع استمرار الكفاح المسلّح.

لا بدّ لنا، هنا، من العودة، قليلاً، الى وراء، للتذكير بأن ظروف اللجوء الفلسطيني كانت أعطت امكانية قيام العمل المسلّح؛ اذ شكّلت المخيمات الفلسطينية، في البلدان العربية المحيطة باسرائيل، قواعد تدريب ونقاط ارتكاز لهذا العمل الوطني، في الوقت الذي أعطت تجربة الاحتلال للضفة الفلسطينية وقطاع غزة، اشكالاً كفاحية أخرى، اتخذت طابع المقاومة المدنية الشعبية، أو ما اصطلح على تسميته «الانتفاضة».

وعلى الرغم من ان اسلوب المقاومة المدنية يختلف عن أسلوب الكفاح المسلّح، الاّ ان الأول ارتكز على ما راكمه الثاني من معطيات، عبر الممارسة الطويلة منذ العام ١٩٦٥. بل ان تفجّر الانتفاضة جاء مواكباً، ومتلائماً، بل وتتويجاً لنضالات م.ت.ف. كافة.

لذا، فان المقاومة المدنية والكفاح المسلّح هما أسلوبان متكاملان، ولا تعني ممارستهما، في آن، التقليل من أهمية الانتفاضة، والافتراض دونية مستواها الكفاحي، ذلك انه من الصعب اعتبار الانتفاضة الشكل الوحيد للصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، على الرغم من كونها تمثّل المكانة الأبرز في دائرة الصراع، في الوقت الراهن.

ان التقليل من شأن الأشكال الكفاحية الأخرى، أو اسقاط بعضها لحساب الآخر، من شأنه الاخلال بصورة الصراع والعناصر اللازمة لاستمراره. وتتأتى صحة ذلك من ان حالة عدم الحسم هي الحالة التي تعيشها الانتفاضة. فالفلسطينيون، في المناطق المحتلة، مستمرون، حتى الآن، في الوتيرة اياها في مواجهة الاحتلال، دون تصعيدها الى حدّ السيطرة التامّة على مناطق، أو تحقيق العصيان المدني؛ والاسرائيليون، من جهتهم، غير قادرين على قمع الانتفاضة، للعودة بالمناطق المحتلة الى الوضع الذي كانت عليه قبل الانتفاضة.

وفي الواقع، ان هذه الحالة، في الاساس، هي التي أفرزت، في السنة الاولى من عمر الانتفاضة، وقائع سياسية مستجدة، ترتب عليها، موضوعياً، اعلان قيام الدولة الفلسطينية، والاعلان عن بدء هجوم السلام الفلسطيني.

لقد جاء اعلان الاستقلال وقيام الدولة الفلسطينية، في دورة المجلس الوطني الفلسطيني التاسعة عشر، في الجزائر، في ١٥/١١/١٩٨٨، استجابة حيّة لتطورات، وانجازات، الانتفاضة